



خصائص ووظائف الاتصال في المرحلة السيميائية لدى الطفل
دراسة لسانية نفسية

Characteristics and functions of communication in the semiotic a stage of the child Psycho-linguistic study

د.رضا بيرش* المركز الجامعي سي الحواس بركة ، الجزائر

ridha.bireche@cu-barika.dz

تاريخ التسليم: 2021/12/12 تاريخ القبول: 2021/12/30 تاريخ النشر: جانفي 2022

Abstract

The development of language in childrengoesthroughttwo main stages: the pre-linguistic phase (= the semiotic stage) and the linguistic phase. During the semiotic stage, the childdoes not use linguisticsigns (words), but rather uses expressive forms, such as randomnessounds, cries, laughter, gestures and kinemes, to instinctively express his/herbiologicalneeds. This iswhy I calledit "the stage of semioticlanguage", Eachsignsymbolizes in this stage a generaltheme.

The Semioticlanguageis instinctive and not learned, itisthereforecommonamong all children, and is not subject to the rules of the linguistic system used by adultsrepresented in the paradigmatic axis, the syntagmatic axis, the double articulation , and the displacementwhichdistinguishes the humanlanguagefrom the animal one.

Keywords: semiotic stage, child, cries, laughter, gestures, biologicalneeds.

المخلص

يمر نمو اللغة عند الطفل بمرحلتين

كبيرتين: المرحلة ما قبل اللغوية (=المرحلة السيميائية) والمرحلة اللغوية. في المرحلة السيميائية لا يستعمل الطفل علامات لغوية كلمات (وإنما يستخدم أشكالاً تعبيرية، كالأصوات العشوائية والصراخ والضحك والإيماءات والإشارات الجسدية، ليعبر بها غريزياً عن حاجاته البيولوجية. لهذا سميتها بـ "مرحلة اللغة السيميائية". فكل

إشارة فيها ترمز إلى موضوع عام. إن اللغة السيميائية غريزية غير متعلمة، وهي بذلك مشتركة بين أطفال العالم، ولا تخضع لقواعد النظام اللغوي المستعمل من طرف الكبار المتمثلة في: محور الاستبدال، محور النظم، التمثيل المزدوج، الإزاحة، التي تميز لغة الإنسان عن لغة الحيوان.

لكلمات المفتاحية: المرحلة السيميائية، الطفل

بيولوجية ، الصراخ، الضحك، الإيماءات، حاجات.

1-مقدمة :

تعد اللغة من الناحية النفسية وسيلة هامة لتطوير تفكير ومعرفة وشخصية الفرد، ومن الناحية الاجتماعية تعد أهم وسيلة للتفاعل الاجتماعي وتكوين العلاقات الاجتماعية والصداقات.

يتعلم الطفل اللغة بشكل تلقائي رغم تعقيدها، وتتم عملية التعلم هذه عبر مراحل رغم أنها تختلف زمنيا من طفل لآخر إلا أنها تحدث في زمن عمري متزامن تقريبا. أغلب الأطفال يكونون قادرين على استعمال رموز لغتهم الأولى والتحكم فيها قبل دخولهم المدرسة.

وهناك كثير من العوامل المساهمة في نمو واكتساب اللغة لدى الطفل، منها البيئية والعقلية والجسمية والاجتماعية والنفسية . ويقصد بالنمو اللغوي نمو مهارات الاستماع ومهارات التعبير . فللنمو اللغوي شقان: الاستقبال (الفهم) والتعبير (الانتاج)، علما أن مهارة الاستقبال تنضج قبل مهارة التعبير، ولا يمكن حصول الكلام والتعبير من دون سماع، ف"السمع هو أبو الملكات اللغوية." (ابن خلدون، 2001، ص 753)

وسأطرق في هذه الدراسة ، لخصائص الاتصال ووظائفه في مرحلة الصراخ، من وجهة نظر نفسلغوية.

1. تعريف اللغة:

يبدولي أن اللغة كوسيلة تعبير قدرة فطرية في المرحلة القبلغوية، ونظام مكتسب بالتدرج في المرحلة اللغوية، تخع لتنظيم عصبي، لها عدة وظائف أهمها التواصل، ونقل الإرث الثقافي عبر لأجيال . يجب أن نفرق بين النمو اللغوي والاكتساب، فالنمو

خاصية حيوانية، فالصراخ والمناغاة عند الطفل تحدث من دون تدخل الوالدين، كما تظهر أصوات الحيوانات كالنباح عند جراء الكلاب. أما الاكتساب فهو بحاجة إلى المحيط، فالكلمات والجمل لا تظهر في كلام الطفل ما لم يتعرض لسماع كلام المحيطين به، لهذا قسمت مراحل ارتقاء اللغة إلى مرحلة اللغة السيمائية (المرحلة الماقبل لغوية) ومرحلة الاكتساب (المرحلة اللغوية). عرفها ديوي (Dewey) على أنها: أداة اتصال وتعبير تحتوي على عدد من الكلمات بينها علاقات تركيبية؛ تساعد على نقل الثقافة والحضارة عبر الأجيال. وعرفها آخرون على أنها: "قدرة ذهنية تتكون من مجموع المعارف اللغوية بما فيها المعاني والمفردات والأصوات والقواعد التي تنظمها جميعاً، وهذه القدرة تكتسب ولا يولد بها الإنسان، وإنما يولد ولديه استعداد فطري لاكتسابها. ويعرف العالم الأمريكي "إدوارد ساير E. Sapir" اللغة: بأنها وسيلة إنسانية خالصة وغير غريزية إطلاقاً، لإيصال الأفكار والانفعالات والرغبات بواسطة نظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية. (محمد أسعد النادري، 2009، ص: 10)

2. شروط نمو واكتساب اللغة:

يعد اكتساب وتعلم اللغة الذي يحدث أثناء تطور الطفل من أكثر علامات الذكاء الإنساني، ليس فقط لأن استخدام اللغة يمثل أحد الخصائص الإنسانية الفريدة، ولكن لأنه يخدم كعنصر أساسي في جميع مراحل الإنجاز الأكاديمي. وتعتبر القدرة على اكتساب واستخدام اللغة واحدة من أكثر الملامح المميزة للإنسان، فدون لغة سوف يكون فهم المعاني المتبادلة والقيم والتقاليد مستحيلاً، ولذا نجد ستة متطلبات أساسية لاكتسابها هي: القدرات البيولوجية، المحيط اللغوي، المحيط الاجتماعي، القدرات المعرفية، الحاجة للتواصل، والممارسة الفعلية للغة (تدريب أعضاء النطق) وإليك التفصيل:

1.3 القدرات البيولوجية:

تشتمل سلامة القدرات الحسية وبخاصة الجهاز السمعي الذي يمكن الفرد من استقبال الكلام ومراقبة كلامه من خلال التغذية الراجعة، والقدرة البصرية التي يتمكن الطفل من خلالها مراقبة تواصل الآخرين من خلال الإيماءات والإشارات وتعابير الوجه وسلامة الجهاز الكلامي من حنجرة وتجاويف رنانة، وسلامة الجهاز التنظيمي لكل هذا وهو الجهاز العصبي.

وقد ثبت علمياً أن تلفيف بروكا الذي يتحكم في الكلام على مستوى الدماغ، لا يبلغ مرحلة التمييز العضوي إلا بعد سبعة عشر شهراً من الولادة، بينما تنضج المراكز الدماغية الأخرى بعد أحد عشرة شهراً فقط. ومن ناحية أخرى، فإن التبدلات التي تطرأ على شكل جهاز التصويت وعلى حجمه، لها أيضاً أثرها في نمو اللغة عند الطفل. وكلنا نعرف كيف يتغير الصوت عندما تستطيل الأوتار الصوتية (خاصة عند الذكور الذي يؤدي إلى بروز الغضروفين الأماميين محدثين ما يسمى بتفاحة آدم) في طور المراهقة، يصبح صوتهم خشناً. (حنفي بن عيسى، 2003، ص. 128)

1 - المحيط اللغوي والاجتماعي:

يشير إلى البيئة التي يكتسب فيها الطفل اللغة بغض النظر عن لغة والديه وثقافتهم، حيث لا بد من توفر فرص كافية للاستماع إلى اللغة من أفراد المجتمع، ويعتبر المنزل هو المحيط اللغوي الأول الذي يقدم نماذج لغوية مهمة للطفل ، وخاصة في مراحل تطوره الأولى .

2 - القدرات المعرفية:

تشكل أساساً مهماً لاكتساب اللغة، فالطفل لا ينطق كلمته الأولى إلا بعد أن يطور المفاهيم التي تمكنه من التصور العقلي للأشياء والأفعال والأحداث في العالم.

3 - الحاجة للتواصل:

لا يمكن للطفل أن يطور لغته إلا إذا كانت لديه حاجة لذلك، وباختصار فإننا نتحدث لأننا نود التأثير على أفعال المستمع أو تركيزه أو مشاعره، فمعظم ما يتحدث به الطفل يوميا يرجع لسببين أحدهما حاجته للأشياء وهي التي تعلمه الجمل الطلبية، وثانيهما حبه للاستطلاع والذي يعلمه الجمل الاستفهامية . (حنفي بن عيسى، 2003، ص. 128)

4 - تدريب جوارح النطق:

إذا قمنا بتجربة على التوائم المتماثلين، لتدريبهم على التكلم، ولكن في ظروف مختلفة، فإن الفروق التي قد نلاحظها بينهم ستكون حتما مرجعها إلى اختلاف المحيط. ومن ذلك أن العالم "ستراير" 1930 قام بدراسة حالتين من هذا النوع، على توأمين يبلغان من العمر 84 أسبوعا، فعند ابتداء من الأسبوع الرابع والثمانين إلى تدريب أحد التوأمين تدريباً خاصاً. وصار يريه أشياء، ويرفق عرض الشيء بذكر اسمه، ويحثه على تقليد الأصوات، فأصبح ذلك الطفل قادراً على التعرف على بعض من الصور، وصار يستجيب لبعض من الإيعازات البسيطة. وما كادت خمسة أسابيع تمضي، حتى ازدادت مفردات هذا الطفل من واحد إلى خمسة وثلاثين. وفي أثناء ذلك كله، ظل التوأم الثاني في عزلة تامة بحيث لم يسمع أي شيء مما له علاقة بالكلام. وبعد أن أنهى الطفل الأول تدريبه خلال الأسابيع الخمسة، عمد "ستراير" إلى تدريب الطفل الثاني، فتبين أنه أسرع في تعلمه من التوأم الأول، إذ ما كادت تمضي أربعة أسابيع، حتى تعلم ثلاثين كلمة. وعند ذلك الحد توقفت التجربة. وبعد مضي بضعة أشهر زال الفرق اللغوي بين الطفلين تماما.

إن هذه التجربة تدل على أن الطفل الأكبر سناً يستفيد من التدريب أكثر ممن هو أقل نضجاً في العضوية، أي أن الطفل لا يكاد يبلغ جهازه الصوتي مرحلة كافية من النمو، حتى يأخذ في التكلم، شريطة أن يجد الظروف اللغوية الملائمة بطبيعة الحال. وما من شك أن التدريب ضروري، ولكنه إذا حصل قبل الأوان، فإن نتائجه أقل من التي

يمكن الحصول عليها عندما تبلغ جوارح النطق مرحلة الاستعداد للكلام. وعلى ذلك، يمكن القول بأن مراحل النمو اللغوي واحدة بالنسبة إلى جميع الأطفال الأسوياء.(حنفي بن عيسى، 2003، صص. 128-129)

2 النظام اللغوي بين الفطرة والاكْتساب:

لا يشك أحد في أن النظام اللغوي (قواعد وكلمات لغة معينة) أمر مكتسب وليس من قبيل الفطرة. ولو فطر الإنسان على التكلم بقواعد وكلمات محددة لماتعددت واختلفت اللغات بهذا الشكل، ولما بلغت اليوم ما يربو على ألف وخمسمائة لغة. وقد دلت الدراسات التي أجريت في كثير من الأقطار، وخاصة في ألمانيا وفرنسا وأمريكا، على أن مراحل تطور السلوك اللغوي واحدة بالنسبة إلى جميع الأطفال، ولا تختلف مهما كانت اللغات التي يكتسبونها من المحيط، (حنفي بن عيسى، 2003، ص. 127) وهذا يعني أن الإنسان مهياً سلفاً أو مزود بمقدرة تمكنه من الاتصال بالآخرين، هذه المقدرة مرتبطة بتكويننا الجيني وببنية جهازنا العصبي والنطقي. إن اكتساب اللغة مرتبط بالوالدين وخاصة الأم، فهي التي تناغي طفلها وتشجعه -بشكل غريزي تحت دافع اللعب أو محاولة إسكاته- على استعمال بعض الأصوات اللغوية، حتى يستوي لسانه، وتستقيم مخارج حروفه على الوجه الصحيح الذي تعارف عليه المحيط.(حنفي بن عيسى، 2003، ص. 127)

ومن الفرضيات الطريفة التي ربطت بين أصوات الشفتين ومدى العلاقة بين النمو الجسمي وتطور اللغة عند الإنسان، والتي تؤكد على الترابط بين لغة الطفل والأم؛ ما أشار إليه الجاحظ من أن الميم والباء أول حرفين ينطقهما الطفل؛ لسهولة ملاحظته لعملهما عندما يشهاد وجه أمه وهي تحدثه، قال: (والميم والباء أول ما يَتَهَيَّأُ في أفواه الأطفال، كَقَوْلِهِمْ: مَآمَا وَبَابَا؛ لأنهما خَارِجَانِ مِنْ عَمَلِ اللِّسَانِ، وَإِنَّمَا يَظْهَرَانِ بِالتَّقَاءِ الشَّفَتَيْنِ)(الجاحظ، د.س، ص. 62) والتفسير الفسيولوجي الحديث يؤيد ما ذهب إليه الجاحظ، ذلك أن هذه الحروف شفوية، وهي أول الحروف ظهوراً في النظام الصوتي

عند الطفل، وذلك لأن العضلات الأولى التي يمرنها هي العضلات الشفوية، جراء
عماية مص ثدي أمه، (أحمد حساني، 2000، ص 104 بتصرف) ونتيجة لتدرب تلك
العضلات، يستطيع الطفل أن يصدر تلك الحروف وأن يتعلم كلمات بسيطة مثل
بابا وماما، في وقت مبكر جدا، وأظن أن هناك عوامل أخرى تفسر هذه القضية:
(بيرش رضا: 2018، ص 211)

- 1 - سهولة ملاحظة الطفل لعمل الشفتين في أثناء كلام الكبار.
- 2 - المرونة العالية التي تتمتع بهما الشفتان بأصل الخلق.
- 3 - كثرة سماع هذه الأصوات، فقد تنبه الخليل بن أحمد إلى أن حيز أصوات
الذلاقة (م، ب، ف، ل، ر، ن) كثير التردد في أبنية الكلم العربي،¹ وسبب
ذلك كما يقول الخليل سهولة نطقها، وقد جعل ورود صوت ذليق على
الأقل في بناء الرباعي وما فوقه دليلا على أصالة الكلمة في العربية،
(الخليل بن أحمد، 2003، 37/1) ما لم نكن نعلم سلفا أنها مقترضة من
لغة أخرى. والأصوات الشفوية -واحد منها على الأقل- لا تخلوا منها أكثر
اللغات المعروفة حتى اليوم، وهذه تعد من العالميات اللغوية. (محمود
أحمد نحلة: 2000، ص 147-150)

إننا لا نزال نجهل الشيء الكثير عن دور كل من الوراثة والمحيط في التعلم، واكتساب
المهارات. وقد تجد من الباحثين من يفسر عملية التعلم بطائفة من الغرائز الموروثة أو
بجملة من المنعكسات الشرطية المكتسبة. إلا أن الجدال بين أصحاب الوراثة ودعاة
المحيط لن ينتهي إلى نتيجة حاسمة، ما دما نجهل الكثير من الأمور عن مراحل نمو
الجنين، ووظائف الأعضاء وارتباط بعضها ببعض. (حنفي بن عيسى، 2003، صص
127 128)

1.3 اختصاص النمو اللغوي:

- 1 - لكل مرحلة عمرية خصائصها اللغوية.

- 2 - هناك ارتباط وثيق بين نمو اللغة وسلامة ونمو الدماغ والجهاز السمعي والنطقي.
 - 3 - ضرورة وجود محيط يستعمل النظام اللغوي، فلا يكتسب الطفل المعزول أي نظام لغوي، وعين الأمر ينطبق على الراشد.
 - 4 - الاتصال حالة غريزية، فالطفل الأصم يلجأ إلى لغة الإشارة، وإن كانت محدودة مقارنة باللغة المنطوقة.
 - 5 - هناك عوامل قد تساعد أو تعرقل النمو اللغوي، لكنها ليست في أهمية العوامل السابقة، منها: الذكاء، شخصية الطفل (انعزالي، اجتماعي...) (الحالة الصحية العامة). شحذة فارغ وآخرون: 2002، ص. 219
- كما ألاحظ أن هناك خصائص أخرى:
- 6 - النمو اللغوي مطرد مستمر لا يتوقف عبر الحياة، فالإنسان دائماً يتعلم كلمات جديدة أو مصطلحات علمية أو يستمع لنصوص وجمل لم يسمعها من قبل، وربما يتعلم لغات جديدة بحسب الظروف.
 - 7 - نمو اللغة واكتسابها، هو نمو للنظام اللغوي من كافة مستوياته الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.
 - 8 - يمر الطفل بمراحل عدة قبل أن يبدأ في اكتساب النظام اللغوي، (عبد الباسط محمد السيد، 2011، 2/ 577) وهذا يدل دلالة واضحة على ضرورة نمو القدرات المعرفية الأولية (الانتباه، التذكر، التعرف على الأصوات) ونمو وتمرن الجهاز النطقي، لاكتساب نظام تواصل معقد كاللغة البشرية، ونفس الأمر يقال عن اكتساب لغة الإشارة عند فئة الصم البكم.

9 - النمو -على وجه العموم- أمر غريزي، حيث نجد أن جسم الطفل وقدراته العقلية (ذكاء، تعرف على الأشياء...) تنمو، وبالتالي فنمو اللغة كذلك غريزي؛ أي نمو وتطور القدرة على الاتصال (حتى عند الصم البكم) يكون حسب مراحل وفترات...الخ، لكن النظام اللغوي (مفردات اللغة والقواعد...) مكتسب، فلو كان غريزيا أو جزء من حياتنا الجينية لما احتاج الطفل للمحيط حتى يكتسب اللغة، ولما اختلفت ولا تطورت لغات العالم، إذ في هذه الحالة سيكون النظام التواصلية الإنساني مغلقا كغيره من الأنظمة التواصلية لدى الحيوانات الأخرى، فالكلب يتمكن من النباح بعد عدة أشهر من ميلاده، وذلك النباح هو هو عند جميع كلاب العالم، لم يتغير منذ آلاف السنين، ودلالات النباح التي يطلقها الكلب محدودة بأمور غريزية كالخوف أو رؤية فريسة...الخ.

3. مراحل النمو اللغوي:

تقسم مراحل التطور اللغوي حسب السن الى مرحلتين أساسيتين هما المرحلة ما قبل لغوية (مرحلة اللغة السيمائية) والمرحلة اللغوية وكل مرحلة تحتوي على عدة مراحل فرعية هامة. وسيقتصر الحديث في هذه المقالة على مرحلة الصراخ ووظائفها السيمائية، وهي أول مرحلة يبدأ بها الطفل حياته الإتصالية بالمحيط.

1.4 مفهوم ومميزات المرحلة قبل اللغوية (مرحلة اللغة السيمائية):

المرحلة السيمائية هي مرحلة تمهيدية تضم عدة أطوار: الصراخ، المناغاة، التقليد، وهي تمتد من الميلاد إلى الشهر الواحد والعشرين تقريبا. تعتبر هذه المرحلة مهمة جدا لأنها مرحلة التأسيس لما بعدها وهي مرحلة الكلام الحقيقي، إلا أن علماء النفس وصفوا هذه المرحلة بأنها مرحلة ما قبل وقوف الطفل

على قدميه، وقد اختلفت الدراسات في تسمية هذه المرحلة إلا أن كل التسميات تدور حول صفات موحدة لهذه المرحلة، (عادل حسن علي أبو عاصي، 2011، ص. 28) ستذكر بعد قليل.

وسميت بمرحلة ما قبل اللغة: لأن الطفل في هذه المرحلة لا يستعمل لغة حقيقية (لغة مقطعية تخضع لقانون التمفصل المزدوج) وإنما لأشكال تعبيرية غير مقطعية، كالأصوات العشوائية والصراخ والضحك والإيماءات والإشارات وغيرها، لهذا سميتها بـ "مرحلة اللغة السيمائية"،* فكل إشارة فيها ترمز إلى موضوع عام. في هذه الفترة يستعمل الطفل الصراخ والمناغاة والبكاء والإيماءات الجسدية للتعبير عن حاجاته البيولوجية بطريقة غريزية غير متعلمة، وهي بذلك مشتركة بين أطفال العالم، ولا تخضع لقواعد النظام اللغوي المستعمل من طرف الكبار، أي لا تخضع للتمفصل المزدوج، والانتظام على محوري الترتيب ومحو النظم، كما لا تعبر عن تجارب الطفل الماضية ولا المستقبلية (أي تفتقر لخاصية الإزاحة² التي تميز لغة الإنسان عن لغة الحيوان). ويمكن تقسيم هذه المرحلة إلى عدة فترات:

4. فترة الصراخ: Crying stage

تمتد هذه المرحلة من مولد الطفل حتى الأسبوع الثالث، وقد تمتد حتى الأسبوع السابع. (حلمي خليل، 1986، ص. 66-67) وقد أجمع الباحثون أن الصرخات الصادرة عن الاطفال غير متميزة بعضها من بعض؛ حيث لا تجد صرخات خاصة بالجوع وآخر خاص بالألم... الخ. (حنفي بن عيسى، 2003، ص. 42)

تبدأ فترة الصراخ من الميلاد إلى حوالي الشهر الثالث، وفيها يعبر الطفل عن حاجاته بالصياح والصراخ،³ وهي مرحلة عامة لدى جميع الاطفال وتعتبر مرحلة مهمة جدا لأنها تساعد على تدريب الجهاز الصوتي والجهاز السمعي لدى الطفل رغم انها لا تنتج لنا أي لغة تعبيرية أو استقبالية، لذا يرى بعض العلماء ضرورة ترك الرضيع يبكي لمدة تتراوح بين 15 - 20 دقيقة لتقوية عضلات الصدر والرئتين . لكن البكاء أو

الصراخ في حد ذاته يعتبر وسيلة للتواصل يتضمن رسالة غريزية إلى الأم التي تقوم بأية استجابة للحد من بكاء الطفل أو صراخه، قال محمد نبيل النشواني: (إن أول ظواهر النطق هي الصراخ والبكاء، حيث يعبر الطفل بواسطتها عن جوعه أو عطشه أو ألمه أو ما شابه ذلك . في الشهر الثالث من العمر يلجأ الطفل إلى هذه الوسيلة من التعبير عندما يشعر بالوحدة، ويود صحبة أمه أو رفيق آخر يداعبه أو يأخذ به إلى النوم أو غير ذلك من الأمور) (محمد نبيل النشواني، 1987، ص. 165)

وقال عبد الباسط محمد السيد: (صيحة الميلاد وهي التي تبدأ بها مظاهر الحياة عند الطفل، وتنتج عن اندفاع الهواء بقوة عبر الحنجرة في طريقه إلى الرئة، فتهتز الأحبال الصوتية لأول مرة، وتصدر عن الطفل صيحة تسمى "صيحة الميلاد" وتختلف هذه الصيحة من طفل لآخر، وذلك حسب حالته الصحية أو نوع الولادة، فصيحة القوي قوية وصيحة الضعيف خافتة ومتقطعة) (عبد الباسط محمد السيد، 2011، 2/ 577)

1.5 فسيولوجيا الصراخ:

الصراخ هو صوت مجهور: عالي الطبقة بشدة، ومتقطع، ينتج عن استجابة الجهاز العصبي لضغوط الداخلية أو الخارجية. وإن أي محاولة للنطق تبدأ في الحنجرة، بشد العضلات حول الأحبال الصوتية، وعندما يخرج الهواء من الرئتين، تبدأ الأحبال الصوتية المشدودة في الاهتزاز، وهو ما يؤدي إلى خروج الصوت. ووفق قوة شد الأحبال الصوتية ترتفع طبقة الصوت؛ فبكاء الطفل حديث الولادة في حالة صحية جيدة ينتج 250 إلى 450 ذبذبة في الثانية. (يانوش ديج، تاريخ الاطلاع: 2020/05/12)

وصرخة الميلاد⁴ هي صوت ينتج فسيولوجيا عن اندفاع الهواء بقوة عبر الحنجرة في طريقه إلى الرئة، فتهتز الأحبال الصوتية لأول مرة اهزاذا شديدا؛ فتصدر عن الطفل صيحة تسمى "صيحة الميلاد". وتختلف هذه الصيحة من طفل لآخر، وذلك حسب

حالته الصحية أو نوع الولادة، فصيحة القوي قوية وصيحة الضعيف خافتة ومتقطعة.(عبد الباسط محمد السيد، 2011، 577/2)،
ويوجد نوعان من الصراخ:

- 1 - الصراخ النفسي: يكون فيه صراخ الطفل سريعا جدا عند الولادة، ويكون بنسبة 60 صرخة في الدقيقة، ويرجع هذا إلى سرعة التنفس عند الطفل، ثم تقل لتصل إلى 40 صرخة في الدقيقة.
- 2 - صراخ الراحة: يعبر به الطفل عن الراحة النفسية والفيولوجية، ومصدر هذا الصراخ الحنجرة. (نبيل عبد الهادي وآخرون، 2007، ص 109)

2.5 سيمياء الصرخات:

تتطور صرخة الميلاد فتصبح صراخاً معبراً عن حالة الطفل الانفعالية أو الوجدانية، وعن رغباته النفسية؛ فالصرخة الرتيبة المتقطعة تدل على الضيق، والصرخة الحادة تدل على الألم، والصرخة الطويلة تدل على الغيظ والغضب . (أبو عاصي حمدان، تاريخ الاطلاع: 2020/05/15)

والصراخ يحمل دلالات سيميائية للكبار، حيث يؤولونه بحاجة الطفل إلى شيء ما، ويهرعون إليه عند سماعهم صياحه للإزالة ما به من ضيق . وبمرور الوقت يلاحظ الطفل أنه عندما يصبح فإن شخصا ما يهرع إليه ويرضيه بشيء ما ولو كان ذلك بمصاحبتة إياه ليس غير . وعندما يدرك الطفل هذا فإنه يستعمل الصياح استعمالا إراديا إذا ما وقع في ضيق، أو إذا ما أراد شيئا، وهكذا تتحول الصيحة على عمل إرادي بعد أن كانت في أول أمرها عملا انعكاسيا.(حلمي خليل، 1986، ص 68)

3.5 وظائف الصراخ في المرحلة السيمائية:

- 1 التوضيفة الفسيولوجية : تبدأ هذه المرحلة بلحظة الميلاد بالصرخة الأولى (صرخة الميلاد)، وهي صرخة لها دلالتها وأهميتها الفسيولوجية، فهي تمثل أو

استخدام للجهاز التنفسي الضروري للحياة.⁵ إضافة إلى أن الطفل في هذه المرحلة، يعبر عن حاجاته الغذائية أو الألم أو الانزعاج من فضلاته أو أي شيء آخر بالصراخ.(نبيل عبد الهادي وآخرون، 2007، ص 109، وأنسى محمد قاسم، 2000، ص 109)

2 الوظيفة النفسية: الاتصال بالمحيط (الأم عادة) لتلبية الحاجات الضرورية، قال أنسى محمد قاسم: (إن صراخ الطفل حديث الولادة ليس سوى وسيلة للتخلص من مصادر الضيق أو التوتر، سواء كان توتراً داخلياً أم خارجياً في البيئة) (أنسى محمد قاسم، 2000، ص 109)

3 الوظيفة اللغوية: هذه الصرخة لها أهمية نظراً لأنها تمثل أول استخدام لجهاز التصويت لأول مرة . كما أنها أول مرة يسمع فيها الوليد صوته، وهي خبرة هامة للتطور اللغوي.(أنسى محمد قاسم، 2000، صص 104-106) وبالتالي تعتبر هذه الأصوات بداية الرحلة مع هذه الوسيلة الاتصالية بالعالم الخارجي(عبد القادر عبد الجليل، 2010، ص 315، وليلى كرم الدين، 1990م، ص 20)ويرى كثير من العلماء أن للصراخ أثراً واضحاً في تقوية الجهاز الصوتي عند الطفل، ويجعله مؤهلاً للانتقال إلى المرحلة التالية،(لابرجير إميه، 1987، صص 14-15)قال أنسى محمد قاسم: (لهذا الصراخ أهمية كبيرة في تمرين الجهاز المختص بالكلام الذي لم ينضج بعد، إلى جانب أن الصراخ يساعد الطفل على التعلم، فهذه الأصوات يمكن أن تساعد على إشباع حاجاته الأساسية ورغباته، كما يحدث عندما يؤدي الصراخ إلى التخلص من الجوع أو الألم أو الحصول على انتباه الآخرين)(أنسى محمد قاسم، 2000، صص 106-107) وقال حلمي خليل: (ويرى بعض علماء اللغة أن الصيحات التي تصدر عن الأطفال في هذه

المرحلة، إنما هي صحاح عامة تكاد تكون واحدة عند جميع الأطفال، وبالرغم من أن الصياح ليس كلاما وليس الأصل فيه أن الطفل يريد أن ينقل أو يوصل شيئا ما إلى غيره، إلا أنه هام بالنسبة للطفل من الناحية اللغوية؛ فهو يساعده على التحكم في أجهزة النطق وتدريبها، كما يساعده على تنمية قدراته السمعية، كما يكتسب خبرات نطقية وسمعية، تساعد بعد ذلك في مرحلة الكلام) (حلمي خليل، 1986، صص 67-68)

5. تحليل النتائج:

- 1 - يستعمل الطفل نظاما تواصليا سيميائيا من ولادته إلى عامه الثاني؛ حيث يفتقر هذا النظام التواصل إلى خصائص اللغة البشرية: التقطيع المزدوج، الإزاحة، البنية العميقة، كما يفتقر للنية في التواصل، فهو لا يعدو أن يكون ردود أفعال لدوافع داخلية أو مثيرات خارجية
 - 2 - يصرخ الأطفال الصم بالولادة شأنهم شأن الأطفال السالمين ، وهذا يدل على أن الصراخ غريزة مشتركة بين كل الأطفال.
 - 3 - يتوقف الطفل الأصم الأكم عن الصراخ (والمناغاة) حوالي الشهر السادس، وهذا يدل على أن مرحلة الاصوات الغريزية قد توقفت، وبدأت مرحلة الاكتساب غير المبرمج، وهو يحتاج للتغذية الراجعة.
6. خاتمة:

درس هذا المقال في جزئه الأول خصائص ووظائف الإتصال في المرحلة السيمائية، مقتصرًا على مرحلة الصراخ، وقد تبين أن هذه المرحلة غريزية غير متعلمة، يشترك فيها كل الأطفال. واللغة السيمائية تفتقر لخصائص: النية في الإتصال، الإزاحة، التقطيع المزدوج، البنية العميقة.

7. قائمة المراجع:

- 1 - أحمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر، د.ط، 2000م.
- 2 - أنسى محمد أحمد قاسم: مقدمة في سيكولوجية اللغة، مركز الإسكندرية-القاهرة 2000.
- 3 - جورج يول: معرفة اللغة، تر: محمود فراج عبد الحافظ، دار الوفاء-الإسكندرية، د.س، د.ط.
- 4 - لابرجير إميه: 1987، مساعدة النشء المعوقين في اكتساب القدرة على الاتصال و مهارات الكلام، طبعة اليونسكو.
- 5 - محمد أسعد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، شركة بناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، دط، لبنان، 1430هـ-2009م.
- 6 - محمد نبيل النشواني: الطفل المثالي تربيته وتنشئته ونموه والعناية به في الصحة والمرض، مكتبة رحاب-الجزائر ومؤسسة الرسالة-بيروت، ط1/1407-1987.
- 7 - محمود احمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية، د.ط، 2000م. موفق الحمداني: علم نفس اللغة، دار المسير-عمان، ط2/2007م-1425هـ.
- 8 - نبيل عبد الهادي، حسين الدراويش، محمد صوالحة: تطور اللغة عند الأطفال، ط1/2007، الأهلية للنشر والتوزيع-عمان.
- 9 - حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر، ط5/2003.
- 10 - حلمي خليل: اللغة والطفل دراسة في ضوء علم اللغة النفسي، دار النهضة العربية 1986.

- 11 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، تح: خليل شحادة وسهيل وكار، دار الفكر اللبناني 2001.
- 12 - عبد الباسط محمد السيد: موسوعة تربية الطفل، ط1/1432هـ-2011م، منشورات ألفا-مصر.
- 13 - عادل حسن علي أبو عاصي: الاضطرابات النطقية عند الطفل دراسة وصفية صوتية في ضوء علم الأصوات النطقي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية - غزة 2011 م.
- 14 - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع-عمان ، ط1/2010.
- 15 - الخليل بن أحمد: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، ط1/2003.
- 16 - شحذة فارح وآخرون مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار المعرفة الجامعية 2002.
- الموقع الإلكتروني
- 17 - يانوش ديچ: فك شيفرة البكاء، <https://www.scientificamerican.com/arabic/articles/from-themagazine/listen-between-the-cries/> تاريخ الاطلاع: 2020/05/12.
- 18 - أبو عاصي حمدان: دراسة النمو اللغوي للطفل وأهميته في خدمة المجتمع، مقال منشور، ديوان العرب www.diwanalarab.com، تاريخ الاطلاع: 2020/05/15.
- الهوامش:

¹ قد تكون بعض الأصوات عالية التردد، بما يفوق تردد بعض أصوات الذلاقة، وبحسب إحصاء خاض قمت به لاحظت أن الهاء مثلا بلغ ترددها في القرآن الكريم (رواية حفص) 14966 مرة، وبذلك احتلت المرتبة الرابعة ضمن مجموعة الحروف الصحيحة حسب التصنيف الخليلي، بعد اللام 38758 والنون 27421 والميم 27110، ولكنه كان متفوقا على باقي حروف الذلاقة (ر، ف، ب)، وهذا يدل دلالة واضحة، أن كثرة التردد تتعلق بمجموع تكرار أصوات الحيز ككل، حيث أن معدل تكرار حروف الذلاقة احتل نسبة 60.62% من مجموع تكرار أحياز الحروف الصحيحة في القرآن الكريم الذي بلغ 126348 مروة، ثم يأتي حيز الحلق تاليا لحيز حروف الذلاقة بمعدل تكرار 15.59%، فرغم أن صوت الهاء كان تكراره أعلى من بعض أصوات حيز الذلاقة. إلا أن هذا لم يؤهله كي يكون ضمن حروف الذلاقة. لأنه ليس للهاء أي دور في تمييز الكلم العربي ذي الأصل الرباعي والخماسي، من الكلام الأعجمي. انظر: رضا: أسس النظرية الصوتية عند قدامى الصوتيين العرب، ص. 211.

² الإزاحة هي القدرة على التعبير عن أشياء غير موجودة في المكان والزمان، كأن أحدثك عما حدث لي البارحة أو البلد الذي أتمنى زيارته في العطلة القادمة، أو عن الجنة والحياة بعد الموت، أو عن أشياء متخيلة كسكان المريخ وحروب الجن والإنس... الخ. فالإزاحة مرتبطة بالقدرة التخيلية عند الإنسان، وهذه الخاصية لا توجد في لغة الحيوان، فالحلق الذي يموء يعبر عن اللحظة والمكان الذي يوجد فيهما وبطريقة غريزية تعبر عن حاجات بيولوجية، كأن تموء القطعة لجمع صغارها قصد إرضاعهم وحمايتهم من خطر محتمل، قال جورج يول عن خاصية الإزاحة displacemen: (فهي تتيح لمستعملي اللغة التعبير عن الأشياء والأحداث غير الموجودة في البيئة الحالية، أما تواصل الحيوان فإنه ينقصه عامة هذه الخاصية، يفترض مع ما قلناه أن الاتصال عند النحل له خاصية الإزاحة، فعلى سبيل المثال عندما تكشف شغالة النحل مصدرا للحرق وتعود إلى الخلية، فإنها تؤدي صيغة معقدة من الرقص لتوصل لغيرها من النحل عن مكان هذا الحريق، ويتوقف الاتصال على نوع الرقص، فالرقص الدائري للمسافات القريبة، ورقصة هز الذيل مع سرعات متغايرة للمسافات البعيدة والنائية، ولهذا يعمل النحل الآخر جاهدا للوصول إلى ذلك المكان الجديد، وقدرة النحل هذه على الإشارة إلى الأماكن البعيدة، تدل على أن لاتصال النحل على الأقل شيئا من خاصية الإزاحة بالتأكيد يمثل درجة منها، فاتصال النحل له شكل محدود من أشكال الإزاحة، فالنحل بالتأكيد يمكن أن يوجه غيره من النحل لمصدر غذاء، ومع ذلك يلزم أن يكون ذلك المصدر هو أحدث مصدر للغذاء، ولا يمكن أن يكون حديقة الأزهار تلك، على الجانب الآخر من المدينة، التي زرتها في عطلة الأسبوع الماضي، كما لا يمكن أن تكون كما نعلم رحيق النحل في الجنة في المستقبل، والجوانب المتضمنة في الإزاحة كما

نتبين في لغة الإنسان، أبعد إفهاما من مجرد الاتصال عن مكان مفرد . إنه يمكننا من التحدث عن أشياء وأماكن لسنا متأكدين من وجودها، ويمكننا أن نشير إلى مخلوقات أسطورية والشياطين والجن، والملائكة وبابا نويل، وشخصيات مخترعة مثل السوبرمان، إنها خاصية الإزاحة التي تتيح للإنسان وحده دون غيره من المخلوقات أن يخلق الخيال، وأن يتصور عوالم المستقبل) جورج يول: معرفة اللغة، تر: محمود فراج عبد الحافظ، دار الوفاء-الإسكندرية، د.س، د.ط، ص. 33-34.

³ الصراخ هو أول مظاهر الحياة عند الطفل، (هذه أو تجربة للطفل مع الأكسجين واستعمال جهازه التنفسي بعد أن كان يُثبته عن طريق المشيمة) ، وهو ناتج عناندفاع الهواء بقوة عبر الحنجرة في طريقه إلى الرئتين، فتهتز الأحبال الصوتية لأول مرة، مصدرة صوتا حادا نسميه "صيحة الميلاد" وتختلف هذه الصيحة من طفل لآخر وذلك حسب الحالة الصحية أو نوع الولادة، فصيحة القوي حادة وصيحة الضعيف خافتة ومتقطعة. انظر: عبد الباسط محمد السيد: موسوعة تربية الطفل، 2/ 577.

⁴ تسمى هذه الصرخة صرخة الحياة، تنتج عن صدمة دخول الهواء أول مرة للرئتين، فيتنبه الجهاز العصبي فيأمر الجهاز العضوي من الحنجرة للشفتين بالصراخ، وإن لم يصرخ الطفل فهذا يعني أن الهواء لم يدخل إلى رئتيه وهو معرض للموت إن لم يسعف في الحال وقد يكون خرج من الرحم لتوه ميتا. لهذا فلا علاقة للصراخ بالمس الشيطاني الذي تصوره لنا بعض الروايات الدينية الموضوعة وقد تكون وصلت إلينا من أساطير قديمة أو من مرويوات الإسرائيليات التي عجت بها كتب التراث العربي خاصة الدينية منها. فالعلم يفسر الظواهر إستنادا للملاحظات والفرضيات والتجارب، ولا يمكن بأي حال قبول الخرافات في التفسير العلمي للظواهر، خاصة وهي تتعلق بغيبات لا يمكن أبدا اثباتها أو ادراكها بالحواس ولا بالأجهزة المعملية. فالخرافة تنتمي إلى حقل جغرافيا فكر الشعوب وموروثاتها الحضارية الادبية، والعلم عالمي ليس له جغرافيا بعد أن ينتشر، والدليل على ذلك هو ضمور الحضارة والعلم في جغرافيا شعب ما، وظهورها عند شعب آخر قد يكون بعيدا جدا، في حين لا تظهر عند الشعب المجاور، أما العقائد الدينية والشعبية فتبقى ولا تظمر عند الشعب المتحضر للتو ولا عند الشعب الذي فقد قوة حضارته، كما لا تنتقل بنفس السهولة التي تنتقل بها العلوم والتقنيات، فنقلها وفرضها على شعب آخر قد يحتاج إلى سلسلة حروب ثم نعجز عن فرضها بحسب تصورنا، وخير مثال على ذلك هو دخول الإسلام إلى بلاد فارس، بعد حرب استمرت زهاء 17 سنة، لكن موابذة المجوس وكبار حكمائهم ونخبتهم السياسية اجتمعوا بعد وقعة جلولاء وقرروا تطويع الإسلام السني العربي لجغرافيا فكرهم، فخرجوا بمذهب جديد سمي لاحقا بالتشيع الإثني عشري، كان كارثة على الدولة العربية ، وبالتالي استمر الفرس عن طريق اعتناق مذهب التشيع في محاربة العرب كما كانوا يفعلون قبل

الاحتلال العربي لمملكتهم، وهكذا استمرت الجوس تي أو جغرافيا الفكر الفارسي في صورة جديدة اسمها التشيع . وإلى الآن يحلم ملاي دولة الآيات الإيرانية بإحياء امبراطورية فارس ولا يهتمون أبدا بالإمبراطوريات الاموية والعباسية والعثمانية القائمة على المذهب السني وليد جغرافيا الفكر العربي . وهم يسعون جاهدين لإعادة احتلال كل المناطق التي كانت خاضعة لهم، وهذا ما يصرح به كبراء دولتهم، وقد بدؤوا منذ سقوط نظام الرئيس صدام حسين في 2003م، باحتلال العراق احتلالا ناعما بالمليشيات الشيعية الموالية لهم، ثم سيطروا على اليمن وسوريا ولبنان، وهدفهم الوصول إلى مصر (التي احتلها الملك قمبر الثاني ابن قورش الإخميني عام 525 ق.م وخضعت لهم ما يقارب 200 سنة) ثم الزحف من قاعدة مصر على ما تبقى من العالم العربي. وهذه حقيقة وليست تخميننا مني، وهي مستمدة من تصريحات كبار المسؤولين في القيادة العسكرية، فقد صرح الجنرال رحيم صفوي بأن إيران في هذا القرن ستصبح مركز حكومة إسلامية عالمية، وهذا يعكس الخطة التي يقوم الحرس الثوري وأجنحته بالخارج بتنفيذها، وهي جعل إيران تحكم العالم الاسلامي من باكستان إلى جزر كناري (ويستثنى من ذلك الشعوب التركمانية التي ستبعية اتحاد الدول التركية الذي تقوده تركيا حاليا، والمزمع توسيعه من قبرص إلى جمهورية ألتاي ومناطق الإيغور بالصين) ، وهذا بعد تدمير الوطن العربي -بالتعاون مع الغرب الصليبي والصهيونية العالمية- كما حصل في العراق وسوريا و ليبيا...الخ. انظر تصريح قائد الحرس الثوري السابق رحيم صفوي في قناة الجزيرة وغيرها على الروابط التالية:

<https://www.youtube.com/watch?v=edDuz0Cu37U>

<https://www.youtube.com/watch?v=jE5fUpDDthU>

آخر تاريخ اطلاع على الموقعين يوم 2021/12/30.

⁵لاحظ ان جهاز التصويت هو نفسه جهاز التنفس.